من مصادر السّماع الاحتجاج بالقرأن الكريم، تفسير البحر المحيط لأبي حين الأندلسي سورة البقرة، آل عمران، النساء أنموذجا

Amongst the Sources of Hearing, Arguing by the Holy Quran.SampleStudy: The Interpretation of Al-Baq'arah, El-Imran and An-Nisaa by Al- Bahr Al-Muheet. A Descriptive andAnalytical Study

الطاهر دحماني*

أ.د.هشام خالدي ♣

تاريخ الإرسال: 2022/12/25	تاريخ القبول: 2023/03/19	تاريخ النشر: 2023/05/10

الملخص:

تهدف هذه الدّراسة الموسومة بـ "من مصادر السماع الاحتجاج بالقرآن الكريم، تفسير البحر المحيط سورة البقرة، آل عمران والنّساء أنموذجا -دراسة وصفية تحليلية-" إلى تتبع مواقع الاحتجاج للظواهر النحوية بالقرآن الكريم من خلال سورة البقرة وآل عمران والنساء، وكيف أثرت على بيان معاني الآيات القرآنية في هذه السور، فكثيرا ما تستنبط الأحكام الفقهية في التفاسير بحسب ما تمليه قواعد النحو العربي، ذلك أنّ الوجوه الفقهية قد تتعدّد بتعدد الوجوه النحوية، وهذا ما اعتمد عليه أبو حيّان الأندلسيّ في تفسيره البحر المحيط.

الكلمات المفتاحية: الاحتجاج، السماع، القرآن الكريم،التفسير المحيط

***جامعة تلمسان مخبر تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية وإعداد معجم موحّد لها** tahar.dahmani@yahoo.com

♣جامعة تلمسان مخبر تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية وإعداد معجم موحّد لها khaldi1974@yahoo.fr

Abstract:

The present study, entitled "Amongst the Sources of Hearing, Arguing by the Holy Quran. SampleStudy: The Interpretation of Al-Baq'arah, El-Imran and An-Nisaa by Al- Bahr Al-Muheet. A Descriptive and Analytical Study", aims at tracinginstancesof the grammatical phenomena's argumentation by the holy Quran through chapter Al-Baq'arah, El-Imran and An-Nisaa, and how it affected the explanation of meanings of the Quranic verses in these chapters. The jurisprudent provisions are often elicited in interpretations of Quran according to the entailments of the Arabic grammatical rules. This is because various jurisprudent opinions may be an outcome of the various grammatical opinions, and this is the approach of Abu-Hayan Al-Andalusi in his interpretation, Al- Bahr Al-Muheet.

Key words: *Argumentation, Hearing, the Holy Quran, At-Tafseer Al-Muheet.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: الطاهر دحماني tahar.dahmani888@gmail.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، ومن سار على دربهم واتّبع نهجهم إلى يوم الدّين وبعد:

لقد أنزل الله عزّ وجلّ القرآن الكريم، ووعد بحفظه إلى يوم الدّين وسخّر له رجالا كرّسوا حياتهم لأجل ألّا يطاله لحن أو تحريف، وبما أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين، فإنّ ممّا يلزم عن حفظه حفظ اللّغة العربيّة التي أنزل بها من الفساد، فاشتغل علماء اللّغة على وضع أسس وقواعد للعربيّة حتّى لا يلحن المتكلّم بها، وإنّ من بين تلك الفنون والعلوم التي تشتمل على تلك القوانين علم أصول النّحو، وهذا العلم

شغل النّحاة كثيرا، حيث ألّفوا فيه العديد من المؤلّفات، وبذلوا جهودا، كبيرة لوضع قوانينه وأسسه، وإنّ لهذا العلم صلة كبيرة ووطيدة بالقرآن الكريم الذي يعدّ أوّل المصادر وأهمّها في النقل واستخراج قوانين النّحو.

وعلى ضوء هذا كان عنوان بحثنا كالتالي: من مصادر السّماع الاحتجاج بالقرآن الكريم، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، سورة البقرة، آل عمران والنساء أنموذجا واخترت البحث في هذا الأصل من أصول النحو لأنّ له صلة كبيرة بالقرآن الكريم، وجعلت تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي مدوّنة لما فيه من احتواء واسع لقضايا التّأصيل النّحوي والذي هو راجع لواسع علم أبي حيّان في هذا العلم، وأردت من خلال هذا كلّه بيان فائدة الاحتجاج بالقرآن الكريم لإثبات القضايا النحوية في تفسير القرآن الكريم؛ إذ كثيرا ما يعمد المفسرون إلى الاعتماد على قضايا الكثير من العلوم تساعدهم على تفسير آي القرآن الكريم، وأصول النحو من بينها والاحتجاج بالقرآن الكريم جزء منه

طرحت في هذا البحث إشكاليات مركزية وحاولنا من خلاله الإجابة عنها وهي :

- هل هناك وجود للاحتجاج بالقرآن الكريم لإثبات القضايا النحوية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ؟
- وإن وجدت فما هي الفوائد المستفادة منها في تفسير آي القرآن الكريم ؟

وهناك فرضيات ممكنة للإجابة على هذه الإشكاليات نذكرها:

1- هناك وجود للاحتجاج بالقرآن الكريم في تفسير البحر المحيط .

2- لا وجود للاحتجاج بالقرآن الكريمفي تفسير البحر المحيط .

3- للاحتجاج بالقرآن الكريمفوائد تساعد في تفسيرالقرآن الكريم .

4- ليست هناك فوائد للاحتجاج بالقرآن الكريمفي تفسير القرآن الكريم .

5- بيان فوائد الاحتجاج بالقرآن الكريم من خلال ذكرها في تفسير البحر المحيط.

إنّ من الدوافع التي جعلتني أخوض في هذا الموضوع ما يلي:

1-أسباب نفسية تعود إلى جنوح النفس منذ زمن إلى الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم.

2- العلاقة الوطيدة بين علم أصول النحو والقرآن الكريم .

3- استحقاق قضايا أصول النّحو في التفسير لبحث مستقلّ .

أما بالنسبة للمنهج فقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، باعتبار أن البحث يحاول اكتشاف قضايا التّأصيل النّحوي في تفسير البحر المحيط ولا يتم ذلك إلا بعملية وصفية تحليلية.

خاتمة

1- الاحتجاج بالقرآن الكريم من مصادر السماع في أصول النحو العربي:

1-1- تعريف الاحتجاج:

لغة: الاحتجاج في اللغة كما ذكر في لسان العرب لابن منظور: "والحُجَّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه. وَفِي الْحَدِيثِ: فَحَجَّ آدمُ مُوسَى، أَي غَلَبَه بالحُجَّة. واحْتَجَّ بالشيءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّة؛ قَالَ الأَزهري: إِنما سُمِّيَتْ حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن الْقَصْدَ لَهَا وإِليها؛ وَكَذَلِكَ مَحَجَّة الطَّرِيقِ هِيَ المَقْصِدُ والمَسْلَكُ. وَفِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ:إِن يَخْرُجْ وأَنا فِيكُمْ فأَنا حَجِيجُهأَي مُحاجُّهُ ومُغالِبُه بإِظهار الحُجَّة عَلَيْهِ. والحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ. يُقَالُ: حاجَجْتُه فأَنا

مُحاجٌّ وحَجِيجٌ، فَعِيل بِمَعْنَى فَاعِلٍ. وَمِنْهُ حَدِيثُمُعَاوِيَةَ: فَجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي أَي أَغْلِبُه بالحُجَّة"[1].

1-2- الاحتجاج بالقرآن الكريم:

وهو المصدر المتفق على الاحتجاج به، فكلّ ما قرئ به سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذّا جاز الاحتجاج به، يقول السيوطي: "أما القرآن فكلّ ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم آحادا، أم شاذا"[2] فالمتواتر من القرآن الكريم هو ما ورد في كل القراءات السبع، والآحاد هو ما روي عن بعض السبعة وليس كلهم، والشّاذ هو ما لم يصحّ سنده. فالقرآن الكريم يحتج به سواء وافق القياس أو خالفه أحيانا فيحتج به في مثل ذلك الحرف بعينه في مثل: استحوذ، ولا يقاس عليه[3] .

وقد ردّ السّيوطيّ على بعض النحاة المتقدّمين الذين عابوا على بعض القراءات كعاصم وحمزة وابن عامر، وقالوا أنّها خالفت القياس العربيّ فخطّأهم في ذلك وقال أنّها ثابتة بالأسانيد الصّحيحة والمتواترة التي لا مطعن فيها[4] ، يقول سعيد الأفغاني: "والقراءة الشّاذة التي منع القرّاء قراءتها في التّلاوة يحتجّ بها في اللّغة والنّحو، إذ هي – على كلّ حال- أقوى سندا وأصحّ نقلا من كلّ ما احتجّ به العلماء من الكلام العربيّ غير القرآن"[5] إذ أنّ روّاة تلك القراءات هم ممن يحتج بكلامهم الصّادر عنهم فكيف بكلام الله عزّ وجلّ الذي رووه، فالقراءات أقوى حجّة من كلام العرب الذين يحتجّ بفصاحتهم.

2- الاحتجاج بالقرآن الكريم في تفسير البحر المحيط:

2-1- من سورة البقرة:

2-1-1- في تفسير قوله عزّ وجلّ "ومن النّاس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين"[6]

تطرّ أبو حيّان في تفسير هذه الآية إلى أصل كلمة (الناس) وأنّ أهل النّحو قد اختلفوا في ذلك فقال: "وَمَادَّتُهُ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالْفَرَّاءِ: هَمْزَةٌ وَنُونٌ وَسِينٌ،

وَحُذِفَتْ هَمْزَتُهُ شُذُوذًا، وَأَصْلُهُ أُنَاسٌ وَنُطِقَ بِهَذَا الْأَصْلِ، قَالَ تَعَالَى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ[7]، فَمَادَّتُهُ وَمَادَّةُ الْإِنْسِ وَاحِدَةٌ. وَذَهَبَ الْكِسَائِيُّ إِلَى أَنَّ مَادَّتَهُ نُونٌ وَوَاوٌ وَسِينٌ، وَوَزْنُهُ فَعَلَ مُشْتَقٌّ مِنَ النَّوَسِ وَهُوَ الْحَرَكَةُ، يُقَالُ: نَاسَ يَنُوسُ نَوَسًا إِذَا تَحَرَّكَ، وَالنَّوَسُ: تَذَبْذُبُ الشَّيْءِ فِي الْهَوَاءِ، وَمِنْهُ نَوَسَ الْقِرْطُ فِي الْأُذُنِ وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ حَرَكَتِهِ. وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ مِنْ نَسِيَ، وَأَصْلُهُ نَسِيَ ثُمَّ قُلِبَ فَصَارَ نَيِسَ، تَحَرَّكَتِ الْيَاءُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا فَقُلِبَتْ أَلِفًا فَقِيلَ: نَاسٌ، ثُمَّ دَخَلَتِ الْأَلِفُ واللام"[8] فقد ذكر أبو حيّان الاختلاف في أصل كلمة (النّاس) وذكر مختلف الآراء والتي منها أنّ أصل الكلمة همزة ونون وسين واستدلّ بقوله عزّ وجلّ في سورة الإسراء (يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم) وأنّ الهمزة قد حذفت شذوذا فهي من الإنس، فالنّاس بهم يتمّ الأنس، وقد ذكر ابن جنّي في الخصائص قوله: "وذلك أن الناس بهم العمارة وحسن الآثار, وعلى أيديهم يتم الأنس وطيب الديار. ولذلك قيل لهم: ناس لأنه في الأصل أناس, فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال. فهو فعال من الأنس"[9]فحذفت الهمزة وصارت ناسا وهذا لكثرة استعمالها.

وذكر أيضا أبو حيّان في تفسير الآية السابقة أنّ الباء في (بمؤمنين) زائدة وهي على النّصب فقال: "وَالْبَاءُ فِي بِمُؤْمِنِينَ زَائِدَةٌ وَالْمَوْضِعُ نَصْبٌ لِأَنَّ مَا حِجَازِيَّةٌ وَأَكْثَرُ لِسَانِ الْحِجَازِ جَرُّ الْخَبَرِ بِالْبَاءِ، وَجَاءَ الْقُرْآنُ عَلَى الْأَكْثَرِ، وَجَاءَ النَّصْبُ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ: مَا هَذَا بَشَراً [10] وما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ[11]"[12] فاستدلّ على كون (بمؤمنين) هنا في موضع النّصب والباء زائدة بقوله تعالى: (ما هذا بشرًا)، و (وما هنّ أمّهاتهم) فما الحجازيّة كثيرا يُجرّ خبرها لفظا لا محلّا بباء زائدة كما هو الحال في قوله (بمؤمنين) وهذا ما نجده أيضا في قوله عزّ وجلّ : "وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين"[13] فالباء في (بتاركي) و(بمؤمنين) زائدة والكلمتان في موضع نصب خبر ما الحجازية، وهذا ما ذكره محيي الدّين درويش في إعراب (بتاركي): "الواو عاطفة وما حجازية ونحن اسمها والباء حرف جر زائد وتاركي مجرور لفظا منصوب محلا علىأنه خبر ما وعن قولك حال من الضمير في تاركي كأنه قال وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك ويجوز أن تكون عن

للتعليل والمعنى وما نحن بتاركي آلهتنا لقولك فيتعلق بنفس تاركي. (وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) الواو عاطفة وما حجازية نحن اسمها ولك متعلقان بمؤمنين والباء حرف جر زائد ومؤمنين مجرور لفظا منصوب محلا على أنه خبر ما"[14].

2-1-2- في تفسير قوله عزّ وجلّ "وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أنّ لهم جنّات تجري من تحتها ألنهار"[15]

فقد ذكر أبو حيّان أنّ الألف واللاّم في (الأنهار) جاءت عوضا عن التعريف بالإضافة والمقصود، (أنهارها) يقول : "وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي الْأَنْهَارِ لِلْجِنْسِ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: أَوْ يُرَادُ أَنْهَارُهَا، فَعَوَّضَ التَّعْرِيفَ بِاللَّامِ مِنْ تَعْرِيفِ الْإِضَافَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً[16]، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ، وهو أن الْأَلِفَ وَاللَّامَ تَكُونُ عِوَضًا من الإضافة، ليس مذهب الْبَصْرِيِّينَ، بَلْ شَيْءٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ الْكُوفِيُّونَ، وَعَلَيْهِ خَرَّجَ بَعْضُ النَّاسِ قَوْلَهُ تَعَالَى: مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ[17] أَيْ أَبْوَابُهَا"[18] فأورد رأيا للزّمخشري وهو أنّ الألف والاّم معوّضة للتعريف بالإضافة، والتقدير (أنهارها) واستشهد بآيتين، الأولى من سورة مريم فقد قال تعالى على لسان زكريّا عليه السلام كناية على كبر سنّه (واشتعل الرأس شيبا) فكانت الألف واللام عوضا عن الإضافة والتقدير (واشتعل رأسي شيبا) وكذلك في قوله تعالى: (مفتّحة لهم الأبواب) أي أبوابها فكانت الألف واللم عوضا عن المضاف إليه التمثل في ياء المتكلّم في الأولى وفي الثانية عوضا عن الضمير المتصل (ها).

وفي الآية نفسها في كلمة (أُتُوا) ذكر أنّ الفعل جاء مبنيا للمفعول وأضمر فاعله للعلم به: "وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ: وَأُتُوا مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ وَحُذِفَ الْفَاعِلُ لِلْعِلْمِ بِهِ، وَهُوَ الْخَدَمُ وَالْوِلْدَانُ. يُبَيِّنُ ذَلِكَ قِرَاءَةُ هَارُونَ الْأَعْوَرِ وَالْعَتَكِيِّ. وَأُتُوا بِهِ عَلَى الْجَمْعِ، وَهُوَ إِضْمَارٌ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوابٍ وَأَبارِيقَ[19] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ[20]؟ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْوِلْدَانَ هُمُ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِالْفَاكِهَةِ"[21]

فلمّا ذكر الله عزّ وجلّ في آيات أُخر أنّ الولدان هم الذين يأتون بالفاكهة ممّا يتخيّره أهل الجنّة لم يُظهِر الفاعل هنا وأضمره.

2-1-3- في تفسير قوله تعالى: "قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ"[22]

فالهمزة في (ألم أقل) لما سبقت نفيا كانت تقريرا :"وألم: أَقُلْ تَقْرِيرٌ، لِأَنَّ الْهَمْزَةَ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّفْيِ كَانَ الْكَلَامُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ تَقْرِيرًا نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ[23]؟ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ[24]؟ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً[25]؟ وَلِذَلِكَ جَازَ الْعَطْفُ عَلَى جُمْلَةٍ إِثْبَاتِيَّةٍ"[26]، فالهمزة هنا استفهام سبقت النفي فأفادت تقرير الكلام المنفي، فالقصد هنا ليس نفي القول وإنما تقريره وتأكيد حصوله كما هو الحال في (ألست بربكم) و(ألم نشرح لك صدرك) و(ألم نربك فينا وليدا) فكلها أفادت تقرير الكلام لا نفيه.

2-1-4- استدلّ أبو حيّان على صحّة التركيب (زيدا فاضرب) وعربيّته بقوله عزّوجلّ:

"بل الله فاعبد"[27]، فقال: "وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا التَّرْكِيبَ، أَعْنِي: زَيْدًا فَاضْرِبْ، تَرْكِيبٌ عَرَبِيٌّ صَحِيحٌ، قَوْلُهُ تَعَالَى: بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ، وَقَالَ الشَّاعِرُ: (وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا)[28] قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: الَّذِي ظَهَرَ فِيهَا بَعْدَ الْبَحْثِ أَنَّ الْأَصْلَ فِي: زَيْدًا فَاضْرِبْ، تَنَبَّهْ: فَاضْرِبْ زَيْدًا، ثُمَّ حُذِفَ تَنَبَّهْ فَصَارَ: فَاضْرِبْ زَيْدًا. فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفَاءُ صَدْرًا قَدَّمُوا الِاسْمَ إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ"[29] فقد تدرّج التركيب بين حذف وتقديم وتأخير حتى صار من (تنبّه فاضرب زيدا) إلى (زيدا فاضرب) ففي الآية الكريمة أيضا تقدير الكلام: تنبّه فاعبد الله ثم حذف (تنبه) فصار (فاعبد الله) ثم قدّم الاسم على الفاء فصار التركيب (بل الله فاعبد) يقول أبو إسحاق الزّجّاج: "نصب لفظ (اللَّهَ - جلَّ وعزَّ- بقولك (فَاعْبُدْ) ، وهو إجماع في قولالبصريين والكوفيين، والفاء جاءت على معنى المجازاة، كأنَّه قال:قد تَبينْتَ فَاعْبُدِ اللَّهَ"[30] إلّا أنّه هنا لم يقدّر الفعل (تنبّه) بل قدّر الفعل (تثبّت) والحاصل أنّه قد حصل تأخير فاعبد وتقديم لفظ الجلالة (الله).

2-2- من سورة آل عمران:

2-2-1- قوله عزّ وجلّ "**وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**"[31] فكلمة الفرقان جاءت مصدرا دلّ إمّا على اسم الفاعل (الفارق) أو اسم المفعول (المفروق) يقول أبو حيّان:"والفرقان مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ، وَهَذِهِ التَّفَاسِيرُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ اسْمُ الْفَاعِلِ، أَيِ: الْفَارِقُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْمَفْعُولُ أَيِ: الْمَفْرُوقُ. قَالَ تَعَالَى: وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ[32]"[33]فجلّ التّفاسير ذكرت أنّ المعنى الذي دلّت عليه كلمة الفرقان، هو اسم الفاعل أي أنّ القرآن جاء فارقا بين الحقّ والباطل، ولم يذكروا اسم المفعول، ومما يدلّ على أنّه قد يُراد به اسم المفعول قوله عزّ وجلّ: "وقرآنا فرقناه) فهنا فعل الفرق قد وقع على القرآن فكان مفعولا، فأنزل الله عز وجلّ القرآن مفرّقا ليقرأه الرسول صلى الله عليه وسلّم للناس على مُكث، أي على مهل، كما ذكر العُكبري: "وَ (الْفُرْقَانَ) : فُعْلَانٍ مِنَ الْفَرْقِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْفَارِقِ أَوِ الْمَفْرُوقِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: ذَا الْفُرْقَانِ"[34]فإن جاء بمعنى الفارق فهو لا يعني القرآن فقط، بل حتى التوراة والإنجيل، وإن كان المفروق فهو القرآن فقط لأن التوراة والإنجيل أنزلتا جملة واحدة، وهذا ماذكره أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط[35].

2-2-2- استدلّ أبو حيّان على جواز دخول الفاء الشّرطيّة على خبر إنّ في قوله عزّ وجلّ: "**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**"[36] بدخولها أيضا في مواضع أخرى كقوله عزّ وجلّ: "**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**"[37]، وقوله: "**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**"[38] وقوله: "**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**"[39] فلمّا تضمن اسم إنّ الشّرط جاز دخول الفاء في خبرها كجواب للشّرط ودخولها هنا لم يغيّر معنى الابتداء[40]، وجاء في الكشّاف: "فإن قلت: لم دخلت الفاء في خبر إن؟ قلت: لتضمن اسمها معنى الجزاء، كأنه قيل: الذين يكفرون

فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم"[41] فأدخل الله عز وجل الفاء على خبر إنّ فكأنه قال: فمن كفروا فبشرهم بعذاب أليم، وقد دخلت جزاءً على الكفر الذي استحقّوا به دخولهم النّار ونيلهم العذاب الأليم، كما هو الحال في آية سورة محمد فدخلت الفاء جزاءً للمؤمنين أن لاخوف عليهم إذ أنّهم قالوا ربّنا الله، وفي سورة البروج، جزاءً لمن فتنوا المؤمنين والمؤمنات ولم يتوبوا فنالوا عذاب جهنّم.

2-2-3- ذكر أبو حيّان الأندلسي في تفسير قوله عزّ وجلّ: "**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَوَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**"[42] أنّ هناك من تأوّلأ حذف مضاف والتقدير: (إنّ الله اصطفى دين آدم) فلمّأ ردّ عليه أنّه لو صحّ ذلك لجرّ (نوح) على الإضافة أيضا، قال أنّ المضاف إليه هنا أخذ حكم المضاف ولا يلزم منه جرّ، كما قال تعالى: "**واسأل القرية**"[43] فيكون (آدم) و(نوح) هنا مضافا إليه في المعنى، وليس إعرابا ويأخذ حكم المضاف في الإعراب.[44] يقول الزّجّاج: "قال قوم: اصطفى دينهم أي اختاره على سائر الأديان. لأن دين هؤُلاء الجماعة الإسلام"[45]فقدّر (دين) على أنّها مضاف محذوف وهذا ما ذكره أيضا أبو جعفر النّحّاس: "إنّ الله اصطفى آدم ونوحا قال الفرّاء أي إنّ الله اصطفى دينهم"[46].

2-2-4- في قوله عزّ وجلّ: "**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُاسْمُهُالْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**"[47] فالجارّ والمجرور (من المقرّبين) جاء معطوفا على (وجيها)، وهي حال فكانت شبه الجملة (من المقرّبين) في موضع الحال، يقول أبو حيّان: "مِنَ الْمُقَرَّبِينَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: وَجِيهًا، وَتَقْدِيرُهُ: وَمُقَرَّبًا مِنْ جُمْلَةِ الْمُقَرَّبِينَ.أَعْلَمَ تَعَالَى أَنَّ ثَمَّ مُقَرَّبِينَ، وَأَنَّ عِيسَى مِنْهُمْ. وَنَظِيرُ هَذَا الْعَطْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى:وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ[48]فَقَوْلُهُ: وَبِاللَّيْلِ، جَارٌّ وَمَجْرُورٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى: مُصْبِحِينَ، وَجَاءَتْ هَذِهِ الْحَالُ هَكَذَا لِأَنَّهَا مِنَ الْفَوَاصِلِ، فَلَوْ جَاءَ: وَمُقَرَّبًا، لَمْ تَكُنْ فَاصِلَةً، وَأَيْضًا فَأَعْلَمَ تَعَالَى أَنَّ عِيسَى مُقَرَّبٌ مِنْ جُمْلَةِ الْمُقَرَّبِينَ"[49]فاستدلّ على أنّ (من المقرّبين) جاءت في موضع الحال بقوله تعالى

(وباللّيل) من سورة الصّافّات، إذ عطفت على (مصبحين) وهي حال من الفاعل في (تمرّون) فأتى الله عزّ وجلّ بالجارّ والمجرور لتوافق الفاصلة.

وكذلك هو الحال مع قوله جلّ وعلا: " **ويكلّم النّاس في المهد وكهلاً**"[50] فقوله (ويكلّم) أيضا معطوفة على وجهها، فهي حال أيضا وما يدلّ على إتيان الحال فعلا معطوفا على اسم قوله جلّ وعلا: "**أَوَلَمْ يرَوْا إلى الطّيْرِ فَوْقَهم صَافّاتٍ ويقْبِضْنَ**"[51] فالفعل (يقبضن) جاء معطوفا على الحال (صافّات) والمعنى (قابضات) وهي أحوال للطّير[52] يذكر السّمين الحلبي في هذا قوله: "قوله: (وَجِيهاً) حالٌ وكذلك قولُه: {وَمِنَ المقربين}قولُه: (وَيُكَلِّمُ) وقوله:(مِنَ الصالحين) فهذه أربعةُ أحوالٍ انتصبَتْ عن قوله (بكلمة)، وإنما ذَكَّره الحالَ حَمْلاً على المعنى، إذ المرادُ بها الولَدُ والمُكَوَّن، كما ذكَّر الضميرَ في (اسمهُ)، فالحالُ الأولى جِيء بها على الأصلِ اسماً صريحاً، والباقيةُ في تأويلِهِ"[53] فأتى الله عزّوجلّ بأربعة أحوال لـ (كلمة) فكانت الأولى اسما صريحا، ثمّ عطف عليها جارّا ومجرورًا، ثمّ جملة فعلية، ثمّ جارّا ومجرورا، وكلّها في موضع الحال، وقد ذكر المؤلفون في مسألة جواز عطف الفعل على الاسم، كما قال السّهيلي: "وقد جاء عطف الفعل على الاسم في معنى الفعل، نحو قوله تعالى:(صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ) ونحو: (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ) . لأن الاسم المعطوف عليه حامل للضمير، فصار بمنزلة الفعل مع الاسم"[54]وقد اتى -كما هو ملاحظ- بالآيات نفسها التي ذكرها أبو حيّان في البحر المحيط.

2-3- من سورة النّساء:

2-3-1- في تفسير قوله عز وجل:"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**"[55] فقد ذكر أبو حيان أن الله عزّ وجلّ عطف الجملة الفعلية (وخلق منها زوجها) على اسم الفاعل (واحدة) وقال أنّها نظير "صَافّاتٍ ويَقْبِضْنَ"[56] أي هي ذات مسألة عطف الجملة الفعليّة على اسم الفاعل[57].

2-3-2- في قوله عزّ وجلّ: "**وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌفَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ**"[58] فقد عطف الله عزّ وجلّ (امرأةٌ) على (رجلٌ) ثم عاد الضمير في (له) على (رجلٌ) يقول أبو حيّان: "وَالضَّمِيرُ فِي: وَلَهُ، عَائِدٌ عَلَى الرَّجُلِ نَظِيرُ: وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها[59] فِي كَوْنِهِ عَادَ عَلَى الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ"[60] فقد عاد الضّمير في (وله) على الرّجل وإن كان متأخرا، واستدلّ على ذلك بنظيره في قوله عزّ وجلّ: (وإذا رأوْا تجارةً أو لهوًا انفضّوا إليها) فقد عطف الله عز وجل (لهوا) على (تجارة) ثم عاد الضمير بعد (لهوا) في (إليها) على (تجارةً)، يقول الطّبري: "فإن قال قائل: وكيف قيل:(وله أخ أو أخت)، ولم يُقَل:(لهما أخ أو أخت)، وقد ذكر قبل ذلك(رجل أو امرأة)، فقيل: (وإن كان رجلٌ يورث كلالة أو امرأة)؟ قيل: إن من شأن العرب إذا قدمت ذكر اسمين قبل الخبر، فعطفت أحدهما على الآخر(ب) (أو)، ثم أتت بالخبر، أضافت الخبر إليهما أحيانًا، وأحيانًا إلى أحدهما، وإذا أضافت إلى أحدهما، كان سواء عندها إضافة ذلك إلى أيّ الاسمين اللذين ذكرتهما إضافَته، فتقول: (من كان عنده غلام أو جارية فليحسن إليه)، يعني: فليحسن إلى الغلام – و(فليحسن إليها)، يعني: فليحسن إلى الجارية – و(فليحسن إليهما)"[61] فالعرب تجيز أن يعود الضمير إمّا على المعطوف أو المعطوف عليه فكلاهما صحيح كما قالأبو حيان: "وإن كان يجوز أن يعاد الضّمير على المعطوف تقول: زيدٌ أو هند قامت"[62]

2-3-3- في تفسير قوله عزّ وجلّ: "**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ**"[63] يجوز أن يكون هناك حذف والتقدير (والاتي تخافون نشوزهنّ ونشزن) فيكون العقاب بعدها مترتّبا على (ونشزن) وليس من خوفهم النشوز: "وَالْأَحْسَنُ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ ثمّ معطوفا حُذِفَ لِفَهْمِ الْمَعْنَى وَاقْتِضَائِهِ لَهُ، وَتَقْدِيرُهُ: وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ وَنَشَزْنَ. كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ: اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ «1» تَقْدِيرُهُ فَضَرَبَ فَانْفَجَرَتْ، لِأَنَّ الِانْفِجَارَ لَا يَتَسَبَّبُ عَنِ الْأَمْرِ، إِنَّمَا هُوَ مُتَسَبِّبٌ عَنِ الضَّرْبِ. فَرُتِّبَتْ هَذِهِ الْأَوَامِرُ عَلَى الْمَلْفُوظِ بِهِ. وَالْمَحْذُوفُ: أَمَرَ بِالْوَعْظِ عِنْدَ خَوْفِ النُّشُوزِ، وَأَمَرَ

بِالْهَجْرِ وَالضَّرْبِ عِنْدَ النُّشُوزِ"[64] فترى هنا هذه اللمسة البيانيّة المستقاة من هذا الحذف كون الأحكام الثلاثة قد انقسمت إلى ما يترتب على الخوف من النشاز وهو الوعظ، وما يترتب على وقوع النشاز وهو الهجر والضرب، وقال أبو حيان (الأحسن عندي) هنا لأنّ هناك من رأى أن معنى الخوف من النشاز هنا هو اليقين، فلذلك لا يُحتاج إلى تقدير حذف هنا، كما ذُكر في تفسير بن عطيّة: "قالت فرقة معنى تَخافُونَ تعلمون وتتيقنون، وذهبوا في ذلك إلى أن وقوع النشوز هو الذي يوجب الوعظ"[65]، وهذا الذي ذهب إليه معظم المفسرين، ولكن الذي ذهب إليه أبو حيانأيضا حسنٌ لما في ذلك الحذف من لمسة بيانية بينها فيما ذكرناه آنفا.

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث نخلص إلى الإجابة عن الإشكالية المطروحة في مقدمة البحث، وهو أن:

1- البحر المحيط ينتهج في بيان معاني آيات القرآن الكريم الاعتماد على الاحتجاج بالقرآن الكريم في اكتشاف الظواهر النحوية وإثباتها وتخريج الأحكام واستنباطها.

2- اعتماد الاحتجاج بالقرآن الكريم في إثبات الظواهر النحوية واللغوية قد أثر على استنباط الأحكام إذ أن هذه الأحكام تثبت وفق ما تقتضيه قواعد اللغة العربية فتتشابه الآيات في أحكامها وفق تشابهها في لغتها ونحوها وصرفها.

3- تتعدد الأحكام المستنبطة والمعاني المبينة وفق تعدد الوجوه اللغوية والنحوية والصّرفية في آيات الذكر الحكيم.

4- تفسير القرآن الكريم بالاعتماد على قواعد العربية يعطي لمسات بيانية لا تعطها التفاسير الأخرى.

5- أبو حيان الأندلسي باعتباره من علماء اللغة والنحو -استنادا إلى الكثير من مصنفاته في هذه العلوم والفنون- جعله يعتمد في تفسيره على قواعد اللغة والنحو والصرف

وفي الأخير نسأل الله أن نكون قد نفعنا بهذا البحث ولو النزر القليل والله الموفق.

*** *** ***

5. الهوامش:

[1] محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير، هاشم الشاذلي، محمد أحمد حسب الله، د.ط، ج9، دار المعارف، القاهرة، د.ت، فصل الحاء، مادة حجج، ص: 779.

[2] السيوطي جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، د.ط، دار المعرفة الجامعية، 1426ه/2006م، ص: 75.

[3] المرجع نفسه، ص: 75-76.

[4] المرجع نفسه، ص: 79-80.

[5] الأفغاني سعيد، في أصول النّحو، د.ط، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1414ه، 1994م، ص:39

[6] سورة البقرة الآية: 7.

[7] سورة الإسراء الآية:71.

[8] الأندلسي أبو حيّان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمّد جميل، د.ط، ج1، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت. لبنان، 1431ه-1432ه-2010م، ص: 85.

[9] ابن جنّي أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج2، ص: 123.

[10] سورة يوسف الآية: 31.

[11] سورة المجادلة الآية: 02.

[12] الأندلسي أبو حيّان، البحر المحيط، ج1، ص: 90

[13] سورة هود الآية 53.

[14] درويش محيي الدّين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، ط3، مج4، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سورية، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق بيروت، 1412ه-1992م، ص: 379

[15] سورة البقرة الآية: 24.

[16] سورة مريم الآية : 04.

[17] سورة ص الآية: 50.

[18] الأندلسي أبو حيّان، البحر المحيط، ج1، ص: 183-184.

[19] سورة الواقعة الآيتين: 17-18.

[20] سورة الواقعة الآية: 20.

[21] الأندلسي أبو حيّان، المصدر السابق، ص: 187.

[22] سورة البقرة الآية: 32.

[23] سورة الأعراف الآية: 172.

[24] سورة الشرح الآية: 01.

[25] سورة الشعراء الآية: 18.

[26] الأندلسي أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص: 242.

[27] سورة الزمر الآية: 66.

[28] الأعشى الكبير ميمون بن قيس، الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشى والأعشين الآخرين، شرح: أبي العباس ثعلب،د.ط، مطبعة آذلف هلزهوسين، 1927م، ص: 103، رويت فيها : ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا

[29] الأندلسي أبو حيان، المصدر السابق، ص: 285.

[30] أبو إسحاق الزّجّاج، إبراهيم بن السّرّي بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، ط1، ج4، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1408هـ- 1988م، ص: 361.

[31] سورة ال عمران الآية: 01.

[32] سورة الإسراء الآية: 106.

[33] الأندلسي أبو حيّان، البحر المحيط، ج3، ص:18.

[34] العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، د.ط ج1، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، د.ت، ص: 237.

[35] الأندلسي أبو حيان، المصدر السابق، ص: 16.

[36] سورة آل عمران الآية 21.

[37] سورة محمد الآية: 34.

[38] سورة الأحقاف الآية: 13.

[39] سورة البروج الآية: 10.

[40] الأندلسي أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص: 77.

[41] الزّمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، تفسير الكشّأف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، ط3، ج3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1430هـ، 2009م، ص:66.

[42] سورة آل عمران الآية: 33.

[43] سورة يوسف الآية: 82.

[44] الأندلسي أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص: 111.

[45] أبو إسحاق الزّجّأج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص: 399.

[46] أبو جعفر النّحّاس أحمد بن محمّد بن إسماعيل، بن يوسف المراديّ النّحويّ، إعراب القرآن، تح: زهير غازي زاهد، ط2، ج1، مكتبة النّهضة العربيّة، 1405هـ-1958م، ص:368.

[47] سورة آل عمران الآية: 45.

[48] سورة الصّافّات الآية: 137.

[49] الأندلسي أبو حيّان، المصدر السّابق، ج3، ص: 155

[50] سورة آل عمران الآية: 46.

[51] سورة الملك الآية: 19.

[52] الأندلسي أبو حيّان، البحر المحيط، ج3، ص: 155.

[53] السّمين الحلبيّ أحمد بن يوسف، الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: د.أحمد محمد الخرّاط، د.ط، دار القلم، دمشق، د.ت، ص: 177-178.

[54] السّهيلي أبو القاسم عبد الرّحمان بن عبد الله بن احمد، نتائج الفكر في النّحو، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ-1992م، ص: 247-248.

[55] سورة النساء الآية: 01.

[56] سورة الصّافّات الآية: 19.

[57] الأندلسي أبو حيان، المصدر السّابق، ج3: ص: 495

[58] سورة النّساء الآية: 12.

[59] سورة الجمعة الاية: 11.

[60] الندلسي أبو حيّأن، البحر المحيط، ج3، ص: 547.

[61] الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، ج6، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1422هـ-2001م، ص : 484-485.

[62] الأندلسي أبو حيّان، المصدر السابق، ص: 547.

[63] سورة النساء الآية: 34.

[64] الأندلسي أبو حيّان، المصدر السابق، ص: 628.

[65] ابن عطيّة الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م، ص: 48.